قصاصاتٌ من الجنّة

في فترةٍ ما اكتشف العلماء طيوراً لا مثيل لها في غابات غينيا الجديدة (أو نيوغني). جمال هذه الطيور غير العادي - خاصة عندما تستعرض الذكور جمال ما خفي من ريشها وترقص لاجتذاب إناثها- بهر مكتشفوها فجعلهم يطلقون عليها تسمية "طيور الجنة".

وفي أحد الأيام الخوالي ارتشف أحد أقاربي وكان رجلاً نصفاً، عصير جوافةٍ طازجاً من التي تصنعها المعاصر الراقية بحيث تصبح مزيجاً مثاليّ اللذة فابتسم قائلاً: "كنا نظن أننا لن نذوق هذه الأطعُمَ إلا في الجنة."

بعدها في إدنبرة خرجت يوماً من قاعة الدرس مغاضبةً وقد اعتراني شيءٌ من الحزن أيضاً فاتجهت إلى حديقةٍ عامة كنت أعلم بوجودها إلا أنني لم أزرها من قبل. ذهبت إليها على بُعدها لأبدّد ما أشعر به من ضيق.

في وسط الحديقة كان من الصعب عليّ ألا أتذكر الجنة.. لقد كانت من النوع الذي ينسدل له جزءاً من جفنيك لتستوعب عيناك جماله، البحيرة، أصوات العصافير، الأشجار الفارهة الغابيّة الكثافة، الأزهار المتناثرة بعشوائيةٍ خلابة.. كل ذلك يضعك في الحال في صورةٍ من تلك الصور البديعة التي تراها على الورق أو الشاشة ولا تجرؤ حتى أن تحلم بأن تراها في الواقع.

بيد أني لم أشعر أنني في الجنة.. لقد ردتني إلى الواقع آلاف الهوام المتناهية الصغر التي تتطاير أمامي على ضفاف البحيرة الواسعة فتنتقص من جمال المكان..

إنه الجمال غير المنقوص إذاً.. الكمال أو بالأحرى ما نفترض أنه كمال والذي ما إن نلمسه حتى تعجز حواسنا عن استيعاب مثاليته فننسبه إلى الجنة..

إننا نحلم بها ولا نملك إلا الرجاء وتجميع قصاصاتٍ من هنا وهناك نحاول من خلالها أن نرسم في مخيلتنا صورةً للجنة.

دعاء خليفة

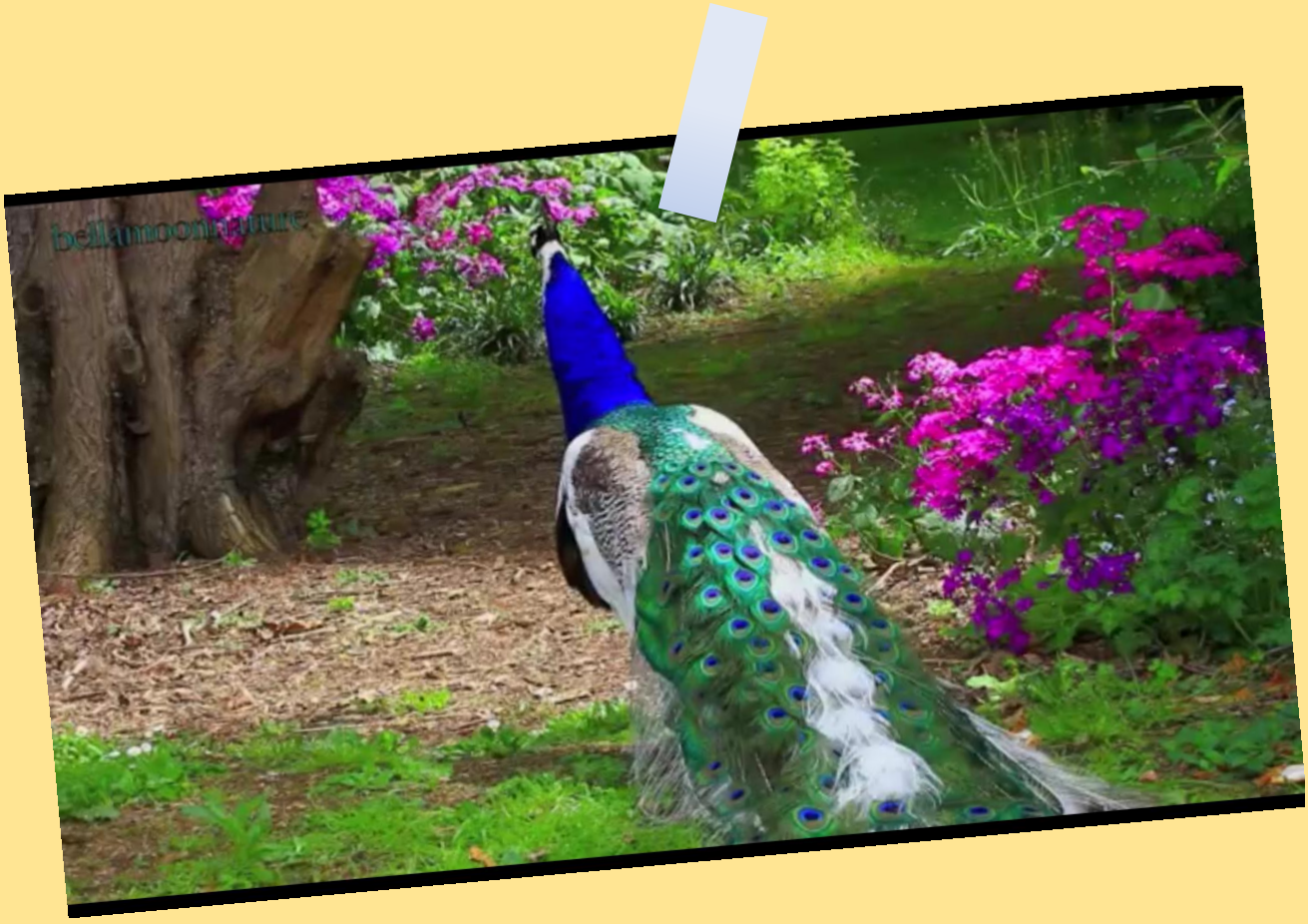

نشر هذا المقال بالملحق الثقافي لجريدة الشرق القطرية

أخذت الصورة الأولى من فيديو باليوتيوب، اسم القناة أو المستخدم LabofOrmithology

وأخذت الصورة الثانية من فيديو باليوتيوب، اسم القناة أو المستخدم bellamoonnature